حسن صبري الخولي: وعد بلفور أميركي مئة في المئة والحل الوحيد لقضية فلسطين هو التعايش الثلاثي

الخميس ١٤ ــ ٣ ــ ١٩٧٤ « النهار » الصفحة ١٣

حسن صبري الخولي: وعد بلفور اميركي مئة في المئة والحل الوحيد لقضية فلسطين هو التعايش الثلاثي

القاهرة ــ من فؤاد مطر

في منزله مئات الكتب عن فلسطين. فلسطين ايام الانتداب وفلسطين في التاريخ القديم وفلسطين بعد الاغتصاب. وفي منزله ايضا مجموعة من الاسطوانات لفنانين يهود مسجّلة على بعضها اغان تهاجم عبد الناصر: ومجموعة من قطع العملة اليهودية. وفي منزله مئات الدراكل عن فلسطين عبر التاريخ وبينها الخرائط المستمدة التي تعكس التصميم الاسرائيلي على الغاء كل المعالم العربية في الديار الفلسطينية.

وكلما سمع الدكتور حسن صبري الخولي بكتاب صدر عن فلسطين في اي مدينة من العالم سعى الى شرائه وضمه الى مكتبته الضخمة بعد ان يكون قرأه في إمعان وسجل ملاحظات على صفحات الكتاب نفسه وعلى دفتر خاص أحياناً، وهو يقرأ كل كلمة تُنشر في صحيفة عربية أو أجنبية عن فلسطين. ولأنه يقرأ العبرية فإن مكتبته تضم مجموعة من الكتب العبرية. ومنذ حدث الإغتصاب الصهيوني وطُرد الفلسطيني من أرضه وحسن صبري الخولي يتابع القضية كما لو أنها قضيته. وقبْل أن يوليها إهتمامه السياسي أعطى القضية الكثير من حماسته. حارب من أجْل هذه القضية. قاتل اليهود عام 1948. قتل منهم وأصيب بجروح.

وبعدما أُعلن قيام الثورة الفلسطينية أصبح الخولي مطالَباً بتوسيع دائرة الإهتمام. طار من أجْل هذه الثورة كثيراً. وخاطر كثيراً. وأنجز كثيراً.

وحسن صبري الخولي عندما يجد وقتاً يخصصه للتأليف عن القضية الفلسطينية. كان أصدر كتاباً بعنوان "فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والإستعمار". وحديثاً أصدر مؤلفاً ضخماً عن الموضوع نفسه بعنوان "سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين"، وهو يعكف حالياً على دراسة الفلسفة اليهودية مركِّزاً على سر معاناة اليهودي مع أنه غني. وخلال دراسته توصَّل إلى أن اليهود هم الذين مولوا الحروب الصليبية، والمؤلف الضخم الذي أصدره الخولي حديثا يقع في مجلدَيْن. كل مجلد من ألف صفحة. وهو، للمناسبة، لا يتقاضى شيئاً في مقابل الكتب التي يؤلفها أو المحاضرات التي يلقيها أو رسائل الماجستير التي يشارك في مناقشتها.

• **سألتُه: كم إستغرق إعداد هذا المؤلَّف الضخم؟**

أجاب: سبع سنوات. وطول الوقت هذا سببه عدم التفرغ من جهة ومسؤوليات العمل من جهة أُخرى. يضاف

إلى ذلك حرصي على تضمين الكتاب وثائق جديدة. ولما كانت وزارة الخارجية البريطانية لا تسمح بنشر وثائق إلاّ بعد مرور 50 سنة عليها، فإنني إنتظرتُ وحصلتُ على وثائق ضمَّنتها الكتاب لم تنشر حتى الآن لا في اللغة العربية ولا حتى في لغتها الأصلية.

• قلت: وما الهدف من إصدار هذا الكتاب ولماذا التركيز على الإستعمار والصهيونية في الإسم؟

أجاب: أما التركيز فسببه أن إسرائيل هي صنيعة الإستعمار والصهيونية. وأما الهدف فهو إرتباطي بفلسطين وإحساسي بأن عدداً من المسؤولين العرب ليسوا على دراية كاملة بتاريخ القضية الفلسطينية وبما قامت به الدول الكبرى من مؤامرات ضد العرب ومن مساعدة الصهيونية لتنفيذ أغراضها في إحتلال فلسطين، وأنا في كتابي إعتمدت على الوثائق، ووثائق القوى الكبرى التي ساعدت على إنشاء إسرائيل.

الحساسيات

• قلت: هل راعيتَ وأنت تنشر الوثائق حساسيات يمكن أن تنتج عن ذلك؟

_ أجاب: إن كل الوثائق التي نشرتُها تثبت وتؤكد أن الصهيونية تآمرت مع الإستعمار ضد عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين ويهود. ومعظم وثائق المجلد الثاني لا بد أن تخلق شيئاً من الحساسية بالنسبة إلى البعض. وفي أي حال هنالك بضع وثائق لم يحن الأوان لنشرها لإعتبارات تتصل بالمصلحة العليا للوطن العربي.

• قلت: إننا في المشرق نستغرب مثل هذا الإهتمام بالقضية الفلسطينية يصدر عن مصري إلى درجة أنه يعتبرها قضيته بكل معنى الكلمة.

أجاب: إهتمامي بهذه القضية بدأ قبل ثلاثين عاماً. إبان الحرب العالمية الثانية كنتُ ضابطاً صغيراً وذهبتُ إلى فلسطين للتدرب في أحد معسكرات الجيش التاسع الذي كان مرابطاً آنذآك هناك. وكانت منطقة التدريب تقع شمال فلسطين في حيفا_ صفد. وبعد أقل من سنة عدتُ إلى منطقة أُخرى في جوار دير سنيد (جنوب فلسطين). وخلال هذه الفترة زرتُ كل المناطق في فلسطين وشعرتُ بحبي لهذه الأرض.

بل أكثر من ذلك إنتابني شعور بأن مصيري ومستقبلي مرتبطان بهذا البلد الذي أحببته. لذا عكفتُ منذ ذلك الوقت البعيد على قراءة كل ما يتصل بفلسطين ثم شاءت الظروف أن ترابط وحدتي العسكرية في العريش قبْل حرب 1948. وبالتالي أُتيح لي بحكم عملي أن أزور فلسطين مراراً في ذلك الوقت، وكنتُ على رأس ... بل إنني كنتُ أول ضابط في الجيش المصري عبرَ الحدود المصرية إلى فلسطين فجر منتصف مايو 1948.

وظللت طوال فترة الحرب في هذه الأرض متنقلاً بين غزة والمجدل ثم إستقر بي المقام في الفالوجة، وإنتهت الحرب وعاد الجيش المصري إلى قواعده في مصر وبقيتُ أنا في فلسطين، وقامت ثورة 23 يوليو 1952 وطلب مني الرئيس عبد الناصر أن أعود إلى القاهرة وألح في ذلك، وإعتذرتُ وبقيتُ في فلسطين وكنتُ إذ ذاك رئيساً لوفد مصر في لجنة الهدنة المشترَكة. وعندما إنتُدبتُ للعمل في رئاسة الجمهورية أصبحتُ مسؤولاً عن الشؤون الفلسطينية وحضرتُ كل المؤتمرات العربية بصفتي مسؤولاً عن الشؤون الفلسطينية. كما حضرتُ دورات عدة في الأمم المتحدة وتحدثتُ فيها حول القضية الفلسطينية. وكانت كل دراساتي الأكاديمية تتعلق بالقضية الفلسطينية. ومن الطبيعي أن تكون مؤلفاتي كذلك. ولعلي المصري الوحيد الذي تربطه صداقة حقيقية ومعرفة شخصية بعدد كبير جداً من الفلسطينيين. ولم تتولد هذه الصداقة في سهولة إنما نمت وترعرعت عبْر السنوات الطوال وعبْر وحدة الآلام والآمال وعبْر المشاكل الكثيرة التي إشتركتُ في حلها، وعبْر الظروف التي جعلتْني أشارك في كل هذه الأمور. ويسعدني أن أولادي الثلاثة ولدوا على أرض فلسطينية وعاشوا بضع سنوات على تلك الأرض.

عسكري وسياسي

• قلت: هنالك أعمال عسكرية كثيرة أديتَها من أجْل فلسطين كذلك هنالك أعمال سياسية كثيرة. هل يمكن أن تذكر لي عملاً عسكرياً تفخر به وآخر سياسياً؟

أجاب: الواقع إنني قمتُ بأكثر من عمل عسكري إنما العمل الذي أعتز به كان عبارة عن عملية تُعرف بإسم "عملية أبو جابر".

• قلت: متى حدث ذلك وأين؟

_ أجاب كنتُ مكلفاً تدمير مطار أُنشيء حديثاً في منطقة عرب أبو جابر يطلَق عليه في العبرية "مطار

ناسونا". كان ذلك في حرب 1948 وقد تمت العملية في نجاح كبدت العدو خسائر ليست قليلة. تقع المنطقة التي حدثت فيها العملية جنوب الفالوجة ووراء الخطوط المصرية بحوالى عشرين كيلو متراً. ويومها كنتُ برتبة ملازم أول وكان قائدي يدعى العميد سيد طه ولقبه "الضبع الأسود".

• قلت: وبالنسبة إلى أهم عمل سياسي أديته للقضية الفلسطينية؟

_ لا أريد الخوض في الأعمال السياسية التي قمتُ بها وإن يكن معظمها نُشر عنه الكثير، وما لم يُنشر أهم وأخطر مما نُشر، ولم يحن الوقت بعد لكي أتكلم بالتفصيل خصوصاً عن الفترة التي بدأت عام 1967 حتى الآن.

• قلت: ألا يمكن الإشارة إلى عمل واحد؟

_ أجاب: ما هو العمل المهم؟ هل إن جمْع مبلغ 30 مليون دولار للمقاومة بعد أحداث أيلول في الأردن أهم أم إن التوفيق بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية أكثر أهمية؟ هذان مثلان عن الأعمال التي تدخل في النطاق السياسي.

• قلت: من خلال تعاطيك العمل السياسي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ما هو الخط العام الذي كنتَ تنتهجه وكيف كان المسؤولون العرب الذين يصطدمون بالمقاومة يتقبلون منطقك؟

_ أجاب: كنت أحرص على أن أثْبت لكل المسؤولين العرب أن للفلسطينيين حقاً شرعياً يتلخص في أنهم يريدون العودة إلى أرضهم وأنه ليس لهم مطمع آخر بالنسبة إلى أي بلد يقيمون فيه، وإذا صدرت عنهم مشاكل فذلك نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشونها، وهي ظروف في منتهى القساوة.

عبد الناصر والقضية

• قلت: من خلال عملك إلى جانب جمال عبد الناصر، هل يمكن أن تحدد لنا طريقة الرئيس الراحل في معالجة الأزمات الفلسطينية، وكيف كان ينظر إلى القضية الفلسطينية؟

_ أجاب: كانت القضية الفلسطينية هي الشاغل الكبير لمصر منذ الأربعينات. ولقد خاضت مصر حرب 1948 من أجْل القضية الفلسطينية وهذه الحرب سبقت ثورة 1952 أربع سنوات لذا فمن الطبيعي أن تعتبر الثورة المصرية إن قضية فلسطين هي قضيتها الأُولى، ومنذ ذلك الوقت حتى الآن، والإهتمام بالقضية الفلسطينية يأخذ الحيِّز الأكبر من التفكير المصري.

• قلت: هل من تدليل واضح على ذلك؟

_ أجاب: في 13 مايو 1963 صدر الميثاق من عشرة أبواب. 8 أبواب تتناول الشؤون المصرية الداخلية. والباب التاسع يتناول الشؤون العربية. أما الباب العاشر فيتناول الشؤون الخارجية وفي كل باب من ابواب الشؤون الداخلية نجد أن عبد الناصر لم ينسَ قضية فلسطين. بالإضافة إلى ذلك إن الإدارة المصرية لقطاع غزه تُعتبر مفخرة المصري، إذ أن التعاون المثمر والبنَّاء والأُخوة المتبادلة بين المصريين والإرتقاء به والإحتفاظ كجزء من الوطن الفلسطيني لتدل على مدى إهتمام مصر الثورة بالقضية الفلسطينية. والإهتمام هذا لا يمكن أن يكون محدوداً ولا يمكن أن يتوقف عند نقطة معيَّنة. إن إرتباط مصر بفلسطين تاريخي.

هنالك حل واحد

• قلت: كيف تتصور الحل لقضية فلسطين؟

_ أجاب: هنالك حل واحد فقط ولا حل أو حلول أُخرى غيره. ولا شك في أنه سيتم الوصول إليه مهما طال الزمن وأياً تكن الصعاب. وهذا الحل هو أن يعيش الفلسطينيون من مسلمين ومسيحيين ويهود على أرضهم متعاونين متحابين كما كانوا يعيشون طوال أجيال مضت. وهذا الحل ليس من صُنْع الخيال، لأنه لا يمكن الإستمرار في السباحة ضد التيار وضد مسار التاريخ.

• قلت: هل معنى كلامك أنك تتوقع زوال إسرائيل؟

_ أجاب: لعلك لاحظتَ إنني لم أتعرض لإسرائيل في كلامي إنما حديثي كان عن الإستعمار والصهيونية وما فعلاه في الوطن العربي الفلسطيني. إن يهود فلسطين لهم كل الحق في أن يعيشوا في سلام مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين. ولا أظن أنني أستطيع التعبير عن مستقبل القضية أفضل من أصحابها الشرعيين. وقد عبَّر السيد ياسر عرفات بصفة كونه رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية عن رأي فلسطين في مستقبلها بالدعوة إلى الدولة

الديموقراطية العلمانية التي تضم المسلمين والمسيحيين واليهود.

حقائق ووثائق

قلت: نعود إلى الكتاب الجديد الذي أصدرتَه. من خلال إعداد الكتاب هل وصلتَ إلى حقائق أو وثائق مهمة جديدة؟

أجاب: لعل الجديد هو إيضـــاح المعروف عن وعد بلفور أنه وعد بريطاني. وقد أثبتُّ في المجلد الثاني من الكتاب عن طريق 7 وثائق أوردتْها أن وعد بلفور أميركي مئة في المئة ولم يكن للحكومة البريطانية من فضل إلاّ في إصـداره حتى أن صـياغته كانت تتم في البيت الأبيض طوال العام 1917 إلى أن صـدر يوم 3 نوفمبر من تلك السـنة. كذلك، من الوثائق التي أوردْتُها تَسـابق الحزبيْن الديموقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة خلال العام 1943 إلى إصدار تصريحات تأييداً لإنشاء إسرائيل. من هنا إن الوعود السبعة التي سبقت وعد بلفور والتي بموافقة الولايات المتحدة توكد ما فيه الكفاية أن الولايات المتحدة صـــاغت وقررت وأن بريطانيا كان دورها دور الموقِّع.

• قلت: للمناسبة ما هي اهم نقطة في نظرك تضمنَّها وعد بلفور؟

_ أجاب: أهم وأخطر ما في الوعد أنه يصف الـ 5 في المئة من يهود فلسطين بأنهم "الشعب اليهودي" ويصف الشـعب العربي الفلسـطيني (الـ 95 في المئة) بأنه "الطوائف غير اليهودية في فلسـطين"، ولا أجد وصـفاً لهذه الفظاعة أفضـل من عبارة لجمال عبد الناصـر قالها مرة وهي: " لقد أعطى من لا يملك وعداً لمَن لا يسـتحق ثم إسـتطاع الإثنان مَن لا يملك ومَن لا يسـتحق أن يسـلبا صـاحب الحق حقه في ما يملكه وفي ما يسـتحقه". إن فلسـطين في ذلك الوقت كان "يملكها" الباب العالي، وبالتالي فإن لا ولاية لبريطانيا عليها ولا يمكن بأي صـفة في القانون العام أو القانون الدولي أن يمنح مَن لا يملك شيئاً لا يملكه. وفي الكتاب فصل جاء فيه _ وهو أمر ينشر للمرة الأُولى _ إن فرنسا حاولت أن تحصل على موافقة بريطانيا لكي تحتل تونس عام 1881 وإذا بوزير خارجية بريطانيا اللورد سالزبوري يقول: "نحن لا نستطيع أن نعطي ما لا نملك". وبلفور هو خليفة سالزبوري.

نُشر الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الخميس 14 مارس/آذار 1974